

مصطفاوي شوقي (1919-2016) من خلال الأرشيف الفرنسي

د/محمد قن

جامعة زيان عاشور-الجللفة-

مقدمة :

كثيرة هي الشخصيات الجزائرية التاريخية التي تركت بصاماتها ووطنيا ومحليا في مجال الإصلاح والنهضة والنضال السياسي والعمل التحرري . ورغم ذلك لم تحظ بالدراسة شاملة والعميقة وبمنهج علمي أكاديمي . ولعل شخصية مصطفاي شوقي نموذجا من تلك الشخصيات التابعة لمنطقة الحضنة مولدا وللجزائر اهتماما ومشروعاً. وسأحاول تسليط الضوء على هذه الشخصية بإبراز جهودها ومساهماتها في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، معتمدا على الأرشيف الفرنسي، في ظل غياب المادة التاريخية المحلية أو صعوبة الحصول عليها حينما يتعلق البحث بالتاريخ المحلي خاصة . ومنه كان تركيزي على أرشيف المصلحة التاريخية لوزارة الدفاع الفرنسية (S H D) بقصر فانسين باريس ، وبالذات على علبة الأرشيف الحاملة لرقم 1H2879، والتي احتوت تقارير رسمية سرية وبطاقات معلومات عن شخصيات جزائرية وطنية.

التعريف بشخصيته:

هو شوقي مصطفاي بن الاخضر، ولد حوالي 1922 بالمسيلة¹، بينما المتداول أنه ولد في 5 نوفمبر 1919، ابن قاضي سابق، يعود نسبه إلى عائلة كبيرة وعريقة ببرج بوعريريج . درس المرحلة الابتدائية بالمسيلة ، ثم انتقل لثانوية سطيف منذ العام الدراسي 1936-1937، وتحصل على بكالوريا في الفلسفة سنة 1938، لكنه فضل دراسة الطب بجامعة الجزائر 1939-1940²، ثم بمدينتي "تولوز - باريس" بفرنسا، وتخصص في طب العيون³. لم يؤدي الخدمة العسكرية ولم يتوج ، ليست له سوابق عدلية، وضعيته المالية جيدة، إذ كان يملك منزلين ومزرعة غير مقسمة مع إخوته⁴. له تكوين عال بالغة الفرنسية ، وذو ثقافة واسعة أيضا باللغة العربية،

1 - Service Historique de la Défence 1H2879.

2 - Service Historique de la Défence 1H2879 .

3 - Service Historique de la Défence 1H2879 .

4- ibid .

وهو خطيب موهوب ، يتحدث بأريحية وخاصة باللغة الفرنسية ؛ فحذب إليه الانتباه خلال الفترة الإستعمارية ، من خلال خطاباته السياسية العنيفة تجاه فرنسا. ينتمي الدكتور لأسرة علمية سياسية فله أربعة إخوة منهم محمد الشريف طبيب ينتمي لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) فرع سطيف ، كمال صيدلي ينتمي لنفس الحزب فرع باتنة ، سعد الدين وكيل قضائي إضافة إلى أبناء عمه و منهم مصطفى الهادي محامي مستشار الجمهورية ، ينتمي لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، متزوج مع أوروبية ، وله طفل واحد .¹

نشاطه السياسي ما قبل الثورة التحريرية 1936-1954 :

لم يكن لم الدكتور مصطفى معروفا لدى الأوساط السياسية بعمالة قسنطينة ، لأنه غادرها مبكرا المتابعة دراسته في باريس بفرنسا.² انخرط في النشاط النضال السياسي باكرا، فكان عضوا في الجمعيات الشبانية الاشتراكية في سطيف ما بين 1936 - 1937. وخلال هذه الفترة، كان يقرأ صحيفة "الأمة" التابعة لنجم شمال إفريقيا.

وفي جوان 1940 انخرط رسميا في حزب الشعب الجزائري³ ، باقتراح من المناضل القيادي الدكتور "لمين دباغين"، وشكل معه نخبة مثقفة في المدن . وفي أكتوبر 1940، عين مصطفى عضوا في اللجنة المركزية للحزب، بصفته ممثلا للطلبة الوطنيين. وفي عام 1941، أنشأ الجناح الطلابي التابع لحزب الشعب، وعين مسؤولا له. وفي عام 1943 رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا.

وساهم الدكتور شوقي مصطفى رفقة "لمين دباغين" في إقناع السيد "فرحات عباس" بترك أفكاره الاندماجية، والتحول إلى النضال الوطني⁴ . وبين شهري مارس - أبريل 1945، شارك في تحديد معالم الراية الوطنية التي رفعها المتظاهرون خلال مظاهرات أول ماي 1945⁵. وفي أكتوبر 1946، دافع داخل اللجنة المركزية لحزب الشعب على فكرة النضال الثوري الشامل، فوجه نداء للقوات الأمريكية طالب فيه بحقوق الشعب الجزائري.

1 - محمد عباس ، مرجع سابق ، ص 308-310.

2 - محمد عباس ، مرجع سابق ، ص 312-313 .

3 - عارضت "جنينة مصالي بن قلفاط " ابنة مصالي الحاج ذلك وأكدت أن والدتها "إيميلي بيسكان" هي من أخاطت العلم الوطني.

4 - Service Historique de la Défence 1H2879.

5 - ibid .

وخلال الحملة المفتوحة لصالح الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، تناول الكلمة عدة مرات لصالح مترشيحي حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (MTLD).

وبعد انتصار حركة الإنتصار في الانتخابات البلدية، ترشح الدكتور مصطفى للعضوية في الجمعية الجزائرية لمدينة قسنطينة، حيث قدم خطابا شديدا للهجة ضد فرنسا في مارس 1948. وفي أبريل 1948، انتخب في الجمعية الجزائرية في الدور الأول وفاز بأغلبية على منافسيه الأساسيين الدكتور "محمد الصالح بن جلول" والسيد "الحاج سعيد الشريف"، ولكنه لم يستلم منصبه بسبب المتابعات قضائية ضده، فاضطر للفرار، بعد صدور قرار إلقاء القبض عليه، الذي تم في 20 أبريل 1948 بمدينة الجزائر. وهكذا لم يتمكن فيما بعد من الترشح للجمعية الوطنية، بسبب التعليمات الموجهة له من طرف ادارة حركة الإنتصار للانتخابات المقررة بتاريخ 4 فيفري 1951. وفي جوان 1951 ترشح للانتخابات التشريعية بقائمة موحدة مع "الصفافسي عبد الكريم"، وتحصل على 6505 صوت من مجموع 701680 منتخبا¹. وبين 1949 - 1951، عين عضوا في هيئة تحرير مجلة "الجزائر الحرة" في باريس. وفي عام 1951 انتخب في الجمعية الجزائرية عن مقاطعة قسنطينة.

وفي ربيع 1951، عقدت اللجنة المركزية لحزب حركة الإنتصار دورة استثنائية للتفاوض مع حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حول مسألة الإتحاد وتناول فيها الدكتور مصطفى الكلمة، وأكد أن الإتحاد ضرورة ولا حرج في ترضية "فرحات عباس" و"الشيخ الإبراهيمي" ثم انتهى إلى قناعة الإستقالة من حزب حركة الإنتصار؛ فانسحب من اللجنة المركزية للحركة، لاختلافه مع "مصالي الحاج"، مستنكرا سيطرته على دواليب الحزب².

1- محمد عباس، مرجع سابق، ص ص 318-319.

- في 1949 تعرضت حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، لمؤامرة عرفت بالنزعة البربرية، قادها السادة "علي لعش، عمار ولد حمودة، عمر أوصديق وعلي بناي" الذين سيطروا على مكاتب الحزب بباريس بقيادة الطالب محمد علي يحيى. أرسلت قيادة الحزب وفدا إلى باريس، تكون من شوقي مصطفى عضو المكتب السياسي والصادق سعدي، وانضم إليهما في باريس محمد خيضر، وبلقاسم راجف. ومُنع العناصر الأربعة من دخول مكتب الحزب بباريس من طرف البربريست في باريس. وبعد صراع تمكن مندوبو القيادة من استرداد مكاتب الحزب من البربريست بواسطة مجموعة من الفدائيين الحزبيين بقيادة بلقاسم راجف. وظهر المناضلون مقرات الحزب نواحي باريس وفرنسا من العناصر البربريست. راجع حول الأزمة البربرية :

- العربي الزبيدي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص ص 165-172.

2- محمد عباس، مرجع سابق، ص 321.

ثم هاجر بعدها إلى باريس ليفتح بها عيادة طبية خاصة، ظل يعمل بها حتى أواخر عام 1956. وإيمانا منه بالوحدة الوطنية، اختارته قيادة حزب حركة الإنتصار في 1949، رئيسا لوفد سياسي، أرسل لباريس لتطهير مقرات الحزب بفرنسا من عناصر النزعة البربرية¹.

نشاطه خلال الثورة التحريرية 1954-1962 :

التحق "شوقي مصطفاي" بجبهة التحرير الوطني في مطلع عام 1955، وعمل إلى جانب "صالح لوانشي" في فيديرالية الجبهة بفرنسا، ثم أرسل في مهمة إلى تونس لضمان الانتقال الآمن للوفد الخارجي للثورة للتوجه إلى الجزائر والمشاركة في مؤتمر الصومام². في عام 1958 شغل منصب مستشار سياسي لوزير الحربية في الحكومة المؤقتة، كريمة بلقاسم. وفي الوقت نفسه شغل منصب رئيس تحرير صحيفة "المقاومة".

نشاط الدكتور مصطفاي بتونس : عين الدكتور مصطفاي مندوبا عاما لجبهة التحرير الوطني في تونس، ومكث عند أخيه "العقي" أواخر جويلية وبداية شهر أوت 1956³، من أجل تزويد الثورة التحريرية بالأسلحة

وقد علمت سلطات الإحتلال بوجود مخزن هام من الأسلحة يوم 12 أوت 1956 بتونس، نقلت على جناح السرعة على متن شاحنات من نوع "رنو - Renault"، وعدد من السيارات من نوع "سيمكا-Simca".

وذلك يوم 12 أوت 1956 على الساعة العاشرة والنصف، وكانت تلك السيارات تحمل ترقيم مدن قسنطينة، الخروب، عنابة، عين البيضاء ومسكيانة.

وقد نجحت عملية الكشف، رغم أن أصحاب تلك السيارات، قد أخذوا كل الاحتياطات الضرورية⁴.

1- برقية موجهة الى المكتب الثاني، عن تنقل الدكتور مصطفاي الى تونس واتصاله بأخيه، بتاريخ 13 أوت 1956 رقم 2/2355.

-Service Historique de la Défence 1H2879.

2- تقرير سري، صادر عن الجنرال "جان نواري-Jean Noiret"، قائد مقاطعة قسنطينة وفرقة شرق قسنطينة بتاريخ 13 أوت 1956 رقم 2/2355. لصالح الجنرال قائد منطقة الشمال القسنطيني.

-Service Historique de la Défence 1H2879.

3 - نشرة معلومات صادرة عن المصالح الإستخباراتية حسب المكتب الثاني للمنطقة العسكرية العاشرة، بتاريخ 22 أوت 1956 رقم 841.

-Service Historique de la Défence 1H2879.

4- تقرير عسكري سري صادر عن المنطقة العسكرية الخامسة قسنطينة بتاريخ 04 أكتوبر 1956 رقم 13135.

-Service Historique de la Défence 1H2879.

وقد كان الدكتوران " مصطفى شوقي والعقبي " ينتميان لمصلحة الصحة لجيش التحرير¹.

وبتهمة معالجة بعض الثوار وتقديم مساعدات مالية ومادية ، أوقف الدكتور مصطفى من قبل سلطات الإحتلال وقدم للمحاكمة التي اقترحت له عشر سنوات سجنا² . وقد أشرف الدكتور مصطفى على مصلحة الصحة لجيش التحرير بتونس³ وكانت تضم ستين طبيبا وجراحا جزائريين، موزعين بين مستشفيات تونس وعيادات المناطق الحدودية ، وتعمل المصلحة تحت غطاء مساعدات اللاجئين الجزائريين⁴.

مهامه الدبلوماسية خلال الثورة :

ساهم في تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، عين في أكتوبر 1958 في مهمة رسمية لدى الدولة التونسية، ثم في المغرب⁵ ، حيث تولى رئاسة بعثة الحكومة المؤقتة بالمغرب، ونهض بنشاط واسع الى غاية وقف اطلاق النار.⁶ وقد كلفته جبهة التحرير الوطني للتفاوض مع المنظمة العسكرية السرية الإرهابية - "OAS" الفرنسية، لوضع حد للعمليات الإرهابية التي كانت تشنها ضد الجزائريين⁷.

سبق للراحل أن أدلى بشهادة مسجلة في إطار الفيلم الذي أجزه " شريف عقون" عن حكومة " روشي نوار- بومرداس حاليا "، مفادها أن جماعة الحكومة المؤقتة اتصلت من الموافقة التي أعطتها لأعضاء الهيئة التنفيذية في فتح أبواب التفاوض مع المنظمة السرية التي كانت تسعى إلى تدمير اتفاق إيفيان وإدخال الجزائر في دوامة عنف.

1- بطاقة استعلامات صادرة من القيادة العامة المكتب الثاني بتاريخ 3 نوفمبر 1957، حول مصلحة الصحة لجيش التحرير بتونس.
-Service Historique de la Défence 1H2879.

2- بطاقة استعلامات صادرة عن القيادة العامة المكتب الثاني بتاريخ 3 نوفمبر 1957.
-Service Historique de la Défence 1H2879.

- ربط الدكتور مصطفى علاقات مع المسؤولين المغاربة مثل الدكتور عبد الكريم الخطيب الذي تحدث معه حول إمداد جيش التحرير الوطني بالسلاح .
3 - محمد عباس ، مرجع سابق، ص 322.

ربط الدكتور مصطفى علاقات مع المسؤولين المغاربة مثل الدكتور عبد الكريم الخطيب الذي تحدث معه حول إمداد جيش التحرير الوطني بالسلاح .
4 - انظر عبدالله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وابطال الثورة الجزائرية، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 484. 485 ، و عبدالله مقلاتي: موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية ، ج 6، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، شمس الزيان للنشر، الجزائر، 2013، ص 166.

- للمزيد حول تفاصيل هذه المهمة ، راجع : 5

- محمد عباس ، مرجع سابق، ص 322-325.

6 - تشكلت الهيئة التنفيذية من السادة :

عبد الرحمان فارس : رئيس، روجي بوت : نائب الرئيس، عبد السلام بلعيد : مكلف بالشؤون الاقتصادية، أمحمد الشيخ: مكلف بالزراعة، جان منو ني : مكلف بالمالية ، عبد الرزاق شنتوف : مكلف بالإدارة، عبد القادر الحصار: مكلف بالأمن العام، بومدين حميدو : مكلف بالشؤون الاجتماعية، شوقي مصطفى : مكلف بالشؤون العامة ، شارل كونييف : مكلف بالأشغال العامة، إبراهيم بيوض: مكلف بالشؤون الثقافية، محمد بن تفتيفة : مكلف بالبريد.

- محمد عباس ، مرجع سابق، ص 322. 7

أنهى مساره الوطني والنضالي، مكلفا بالتفاوض مع منظمة الجيش السري لوضع حد لاعتداءاتها على الشعب الجزائري. كما كان عضوا في الهيئة التنفيذية المؤقتة¹ (19 مارس 1962 - 05 جويلية 1962) التي ترأسها الراحل "عبد الرحمن فارس"، وقد كلف بإدارة الشؤون العامة وعلى رأس ممثلي جبهة التحرير ومن بينهم شنتوف عبد السلام وبلعيد عبد السلام وبن تفتيفة محمد². هذا وقد تواصل الدكتور مصطفاوي مع الزعيم التاريخي "نيلسون مانديلا" فقد أشار هذا الأخير في مذكراته بعنوان "الدرب الطويل نحو الحرية"، إلى أن ممثل الحكومة الجزائرية المؤقتة في المغرب الدكتور شوقي مصطفاوي، "نصحنا أن لا نحمل الجانب السياسي للحرب مع تنظيم القوات العسكرية، خاصة وأن أهمية وقوة الرأي العام الدولي تفوق أحيانا قوة أسطول من الطائرات الحربية". انسحب الدكتور مصطفاوي من الحياة السياسية يوم 27 جوان 1962، لكونه كان محسوبا على كريم بلقاسم وعلى جماعة الحكومة المؤقتة عامة. توفي الدكتور مصطفاوي يوم 2016 /5/29 ودفن بمقبرة عين البنيان بالجزائر العاصمة.

خاتمة :

هكذا كان الدكتور شوقي مصطفاوي مناضلا ومثقفا وطنيا كبيرا، اقتحم عدة ميادين للنضال، لتحرير بلاده من الإستعمار الفرنسي والنهوض بالجمتمع الجزائري إلى مصاف الحرية و الرقي ؛ فمن الجد في طلب العلم والمعرفة، في وقت اشتدت فيه سياسة التجهيل، إلى العمل الإنساني كطبيب قدير، وانتسب وهو شاب لحزب الشعب الجزائري الإستقلالي، حتى اندلاع الثورة الجزائرية فساندها والتحق بها كسياسي وديبلوماسي. هكذا نذر شوقي مصطفاوي حياته كغيره من الوطنيين العسكريين، السياسيين و المدنيين، حتى تحي الجزائر حرة وعزيرة.

1 - هو حساني الشريف محمد الهاشمي ولد يوم 12 أوت 1941 بمقرة.

2 - يُنظر صورته بالملحق رقم 1.